

والجدير بالملاحظة فيما رواه المقرئ عن تلك المدارس اهتمام غير الحكوميين بها وإنشأؤهم لها ابتغاء وجه الله وخدمة للعلم، كالمدرسة المسلمية التي أنشأها كبير التجار ناصر الدين محمد أبو مسلم المتوفى سنة 776هـ، ووقف عليها دوراً وأرضاً ومالاً وفيراً، والمدرسة المهدبية التي أنشأها الطبيب مهذب الدين أبو سعيد ابن أبي حليقة طبيب الملك الكامل، والدرسة القطبية التي أنشأتها ابنة الملك العادل أبي بكر، والمدرسة العاشورية التي أنشأتها زوجة الأمير أياز كوج الأسد ومدرسة زوجة الأمير سيف الدين بكجا الناصري سنة 751هـ، ومدرسة ام السلطان شعبان سنة 771 هـ. ويبدو أن القاهرة أصابت من أهلها في ذلك الزمان خيراً مما تصيبه من أهلا الآن، إذ لم يعد لكبار التجار أو مشاهير الأطباء أو فضليات النساء أو أهل الكسب الوفير في عصرنا الحاضر، غرام بما أغرم به أمثالهم من معاصري المقرئ وسا بقية.

على أن الأوقاف الكثيرة كفلت رزقا جاريا لطلاب العلم، من أشياخ وتلاميذ، وأنفق منها على ما يلزم المدارس من فرش وكتب وحاجيات أخرى، وعاش الناس في ظل تلك العمة الوراثة للعلم وحدة، وكانت الثمرة الطيبة لكل ذلك، ما وصلنا من تراث حضارى ضخم لا يزال جيلنا يستفيد بما ظهر منه، ويكشف الغطاء عما بقى دفينا في دوره الكتب العالمية. وكثيراً ما حدث أن حالت الظروف دون وصول معالم الوقف إلى أصحابها إما بسبب القحط أو الأوبئة، وإما لأن المشرفين على حسيلة تلك الحبوس عتقدوا - ولو خطأ أنها تذهب أحيانا لمن لا يستحقها، وأن هذا يبرر في نظرهم المقاسمة فيها أو الاغارة عليها، وظفر شيوخ تلك المدارس بأكثر من نصيب من خيرات الأوقاف، فمنها ما حصلوا عليه اتمياهم بمهمة التدريس، ومنها ما أعطى لهم من أجل النظر عل المدرسة وأوقافها، ذلك عدا ما يصرف لهم من خبز وماء وغيره، أما صرف تلك الأرزاق فكان شهرياً في العادة.